Journal of Educational and Psychological Sciences (JEPS) • Vol 7, Issue 22 (2023) • P: 37 - 21
https: //journals.ajsrp.com/index.php/jeps
ISSN: 2522-3399 (Online) • ISSN: 2522-3399 (Print)

Educational aspects in Malik Bin Nabi's thought "An analytical study"

Co- Prof. Muslim Abdul- Qadir Mudawi
College of Education | University of Jeddah | KSA

Received:
19/01/2023
Revised:
28/01/2023
Accepted:
01/03/2023
Published:
30/06/2023

* Corresponding author:
muslimabd777@gmail.com

Citation: Mudawi, M. A. (2023). Educational aspects in Malik Bin Nabi's thought "An analytical study ". *Journal of Educational and Psychological Sciences, 7(22)*, 21 – 37.
https://doi.org/10.26389/AJSRP.L190123

2023 © AJSRP • National Research Center, Palestine, all rights reserved.

• Open Access

This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution (CC BY- NC) license

Abstract: The research is aim to identify some of the educational, social, and economic aspects of the Algerian, Malik bin Nabi used the two methods: historical to identify the factors that formed his thought in general and the educational aspects of his life in general and descriptive analysis of the contents of some of his statements in books and articles Lectures and working papers from educational aspects, and the research reached several results, the most important of which are: Malik bin Nabi's possession of a well- defined educational thought that can be applied in Islamic societies in the social, and economic aspects, as well as the strong link between the Religion and society, to consider that religion is the main motivation for educational thought, and to submit it to a specific educational work program according to proposals that can be applied.

Keywords: educational aspects- thought- Malik Bin Nabi- Algeria.

الجوانب التربوية في فكر مالك بن نبي "دراسة تحليلية"

أ.م.د/ مسلم عبد القادر مضوي
كلية التربية | جامعة جدة | المملكة العربية السعودية

المستخلص: هدف البحث إلى التعرف على بعض الجوانب التربوية الاجتماعية والاقتصادية في فكر العالم الجزائري مالك بن نبي، واستخدم الباحث المنهجين: التاريخي للتعرف على العوامل التي شكلت فكره بصورة عامة والجوانب التربوية في حياته بصورة خاصة، والوصفي لتحليل مضمون ما احتوته بعض أقواله في الكتب والمقالات والمحاضرات وأوراق العمل من جوانب تربوية، وتوصل البحث على نتائج عدة من أهمها: إمتلاك مالك بن نبي لفكر تربوي واضح المعالم من الممكن تطبيقه في المجتمعات الإسلامية في الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، وتأكيده كذلك على الصلة القوية التي تجمع بين الدين والمجتمع، على اعتبار أن الدين هو المحرك الرئيسي للفكر التربوي، وتقديمه لبرنامج عمل تربوي محدد وفق مقترحات يمكن تطبيقها.

الكلمات المفتاحية: الجوانب التربوية – الفكر – مالك بن نبي – الجزائر.

مقدمة.

إن الرجوع للجوانب التربوية التي يحتوي عليها الفكر التربوي الإسلامي في مختلف العصور وتطبيق ما دعا إليه يمثل أهمية قصوى في مواجهة التحديات التي تواجه الأمة الإسلامية، وتقديم أنموذج إسلامي تقتدي به شعوب العالم قاطبة، والتي تبحث الآن عن المخرج فيما أدخلتها فيه مناهجها التربوية من اضطراب ومشكلات، ترتب عليه تفشي الجريمة والأمراض الفتاكة بكافة أنواعها. فالتربية في العالم الإسلامي ما زالت تعتمد بصورة أساسية على ما أنتجه الفكر التربوي الذي أنتجه علماء غير مسلمين، الأمر الذي أدى إلى فقد الأمة الإسلامية لهويتها مما ترتب عليه قعودها عن أداء دورها في الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتقديم البديل الصالح في مجال العلوم التربوية، للنهوض بالعملية التعليمية، وتحقيق أهدافها.

من هذا الفكر التربوي الذي يحتاج إلي بيان جوانبه التربوية فكر العالم الجزائري مالك بن نبي، إذ إنه يمثل واحداً من علماء تلك الحقبة المهمة في تاريخ الأمة الإسلامية وهي حقبة الاستعمار، حيث إن لهذا العالم مؤلفات عديدة احتوت على جوانب تربوية تصلح – حسب رأي الباحث- للتطبيق في بعض مجالات التربية والتعليم في الوقت الراهن، خاصة وأنه لا يرى مشكلة أو عقبة في الاستفادة من إيجابيات الحضارة الغربية التي لا تتعارض مع الإسلام.

ولد مالك بن نبي في أوائل القرن العشرين، وواجه في صغره ظروفاً اجتماعية واقتصادية صعبة، ونسبة لفقر أبويه تبناه عمه، وبعد وفاته عاد إلى أسرته، ثم انتقل إلى أخواله الذين كانوا يعملون بالتجارة وبعض الحرف الصغيرة بمدينة تبسة، وأكمل بها دراسته الثانوية، وعمل بوظيفة كاتب عدل، والتي أتاحت له الاطلاع على الثقافة الإسلامية، وكتب التفسير، وقراءة كثير من المؤلفات في الأدب العربي القديم، والأدب الفرنسي، وكتب مالك بن نبي عدداً مقدراً من الكتب والتي ركَّز فيها على الجانب الحضاري للمسلمين، وشرح في بعض هذه المؤلفات أسباب ضعف الحضارة الإسلامية، كما بين فيها طرقاً وأساليب يمكن أن تعيد المسلمين إلى مكانتهم الرائدة بين الأمم، ويمكن القول أن مالك بن نبي من المفكرين العرب الذين تخصصوا في الفكر الإسلامي في القرن العشرين.

مشكلة البحث:

لم يُدرَس ما خلَفه مالك بن نبي من أقوال بثها في كتبه ومذكراته ومقالاته ومحاضراته دراسة كافية من ناحية تربوية بصورة كافية، على الرغم من إسهاماته الفكرية الواضحة ورؤيته الواضحة، وتشخيصه لعلل وأمراض المجتمع الإسلامي بصورة عامة ونظمه التربوية والتعليمية بصفة خاصة، مع تأكيده على إمكانية التفاعل الإيجابي مع بعض مميزات الحضارة الغربية فيما يفيد المسلمين، فيما لا يتعارض مع الثوابت الإسلامية، عليه يمكن أن تصاغ مشكلة البحث في السؤال الرئيس التالي:

ما الجوانب التربوية التي احتوى عليها فكر مالك بن نبي؟ وتتفرع من هذا السؤال السؤالين التاليين:

1- ما الجوانب التربوية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي ؟
2- ما الجوانب التربوية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي؟

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

1- التعرف على الجوانب التربوية في فكر مالك بن نبي بصورة عامة.
2- التعرف على الجوانب التربوية الاجتماعية في فكر مالك بن نبي.
3- التعرف على الجوانب التربوية الاقتصادية في فكر مالك بن نبي.
4- إمكانية الاستفادة من فكر مالك بن نبي في تأصيل الفكر التربوي الإسلامي المعاصر.

5- توجيه أنظار الباحثين في مجال التربية والتعليم إلى الاهتمام بالتراث التربوي الإسلامي في مراحله المختلفة خاصة في مرحلة الاستعمار لبيان أصالة وتفوق هذا الفكر التربوي الإسلامي على الأفكار التربوية الأخرى.

أهمية البحث:

تبدو أهمية هذا البحث فيما يلي:

- شغلت شخصية مالك بن نبي كثيراً من الدارسين على اختلاف تخصصاتهم ومدارسهم الفكرية، فأفردوا لها دراسات شملت جوانب عديدة من حياته، ولكن الجوانب التربوية في حياته، لم تحظ – حسب علمي – بدراسات وافية.
- لم يجد الفكر التربوي لبعض علماء الأمة الإسلامية الاهتمام الذي يليق بإسهاماتهم الفكرية.
- يدرس هذا البحث في التراث الإسلامي في فترة الاستعمار الذي احتل البلاد الإسلامية، ووجود علماء ومفكرين قاوموا هذا الاستعمار وكشفوا عوراته يستحق من الباحثين دراسة شخصياتهم وما أنتجوه من فكر في مجالات الحياة المختلفة، وخاصة ما يتصل بالفكر التربوي.
- قد يسهم هذا البحث في دحض الافتراءات التي تدَعي أنه ليس في استطاعة المسلمين قديماً وحديثاً إنتاج فكر تربوي خالص يناسب معتقداتهم وطرق حياة مجتمعاتهم.

حدود البحث:

- الحدود الموضوعية: وتتمثل في الجوانب التربوية في بعض ما ألَفه مالك بن نبي من كتب ومقالات، وما ألقاه من محاضرات وندوات في الجوانب التربوية الاجتماعية والاقتصادية.
- الحدود الزمنية: العام 2022م.

مصطلحات البحث:

الجوانب التربوية يقصد بها ما احتواه فكر مالك بن نبي من آراء ومضامين تربوية.

الدراسات السابقة:

1- **دراسة أسعد السحمراني (1984م)** بعنوان: مالك بن بني مفكراً إصلاحياً، هدفت هذه الدراسة إلى عرض المشروع الإصلاحي لمالك بن نبي المتمثل في موقفه من الاتجاهات الإصلاحية في العالم الإسلامي، واستخدم فيها المنهج الوصفي، ومن أهم نتائجها: لم يلق مالك بن نبي الاهتمام الكافي من الدارسين، وأسَّس مالك بن نبي مشروعه الإصلاحي من خلال فكره المتميز.

2- **دراسة زينب أحمد مكارم (1986م)** بعنوان: المصادر الدينية الفلسفية في موقف مالك بن نبي من فلسفة الحضارة.

هدفت هذه الدراسة إلى تناول وعرض لآراء المفكر الإسلامي مالك بن نبي ومن أهم نتائجها: تأثر مالك بن نبي بالعلامة ابن خلدون، تأثر مالك بن نبي بحياة الغرب في تكوينه العلمي والمنهجي.

3- **دراسة زكي ميلاد (1988م)** بعنوان: مالك بن نبي ومشكلات الحضارة. هدفت الدراسة إلي معرفة خلفية المكونات التربوية والثقافية لعقلية ومنهج مالك بن نبي، والتركيز على الأبعاد التاريخية المؤثرة في شخصيته وطموحاته، ومعرفة مرتكزات النظرية التربوية عند مالك بن نبي،وتوصلت الدراسة إلي نتائج منها: تجاوز مالك بن نبي من خلال فكره الحدود القطرية لينظر إلى العالم الإسلامي ككل، وأشار مالك بن نبي إلى أن أزمة الخطاب والفكر

الإسلاميين المعاصرين هو الحس الطائفي الذي يصدر من كثير من المفكرين والمصلحين الإسلاميين، وتقدير أولوية العمل الفكري على العمل المهني لاتصاله بمستقبل الأمة ومصيرها الحضاري.

4- **دراسة سليمان عبد الدائم الخطيب (1988)** بعنوان: فلسفة الحضارة عند مالك بن بني وهدفت هذه الدراسة إلي: التعرف على فكر مالك بن نبي، وإبراز فكر مالك بن نبي للنخبة المثقفة التي لا توفي إلا القليل من فكره، وإلقاء الضوء على الحضارة التي يعتبرها مالك بن نبي أهم المشكلات التي ينبغي أن تثار على صعيد الممارسة الإسلامية المعاصرة، وتوضيح مكمن الداء عند الفرد المسلم الذي يستسلم لأساليب القدر الاستعماري والثقافي وقابليته للاستعمار، والكشف عن القوانين التي تستوعب منحنيات التقدم والسقوط في المسار الإسلامي الحضاري، ومن أهم نتائجها: الإسلام وحده هو الذي يمكن أن يعيد المسلمين إلي عالم الحضارة والخلافة المبدعة، وإن تمسك المسلم بتعاليم ومبادئ القرآن جعلته يشيد أعظم حضارة عرفها التاريخ.

5- **دراسة على حسن القريشي (1988)** بعنوان: الأسس التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، هدفت الدراسة إلى: محاولة إبراز فكر مالك بن نبي، وإثبات ضرورة أن يكون التنظيم السيسيولوجي في المجتمع العربي قائماً على خصوصية وحاجات هذا المجتمع، وعرض أفكار مالك بن نبي وتصوراته التربوية التي يطرحها كأساس لبناء الشخصيات والتغيير والثقافة، ومن أهم نتائج الدراسة: إن أفكار مالك بن نبي التربوية ذات مضامين وموجهات تنطوي على قيم وحركات حية وهي من الضرورات الأساسية والعملية لأي عمل بنائي عام، وإن أول مهام التربية أن تستهدف رقي الإنسان أخلاقياً ومعنوياً وإنسانياً بغض النظر عن ربط ذلك بأهداف وأمنيات معاشية ومادية.

6- **دراسة لخضر شايب (1988)** بعنوان: الحضارة الإسلامية في فكر مالك بن نبي، وهدفت الدراسة للآتي: عرض الأفكار الرئيسة التي تبناها المفكر الإسلامي مالك بن نبي في إنتاجه الفكري، والتعرف على أفكار مالك بن نبي عن الحضارة وتاريخها وعناصر قوتها وعوامل انحطاطها وتطبيق نظرية الفكر على الحضارة الإسلامية. من أهم نتائج الدراسة: ظاهرة الحضارة ظاهرة شاملة تتعلق بتاريخها وواقعها وإقامة مستقبلها، وكل الأبحاث والنظريات التي توصل إليها مالك بن نبي عن الحضارة هي ثمرة متابعته التاريخية عن الحضارة الإسلامية، وارتباط المفكر مالك بن نبي ارتباطا شديدا بالواقع الإسلامي الحديث.

7- **دراسة التجانى محمد إبراهيم (2008)** بعنوان: الفكر التربوي عند مالك بن نبي في ضوء التربية الإسلامية، هدفت الدراسة إلى: التعرف على فكر مالك بن نبي، والتعرف على العوامل التي أسهمت في بناء فكره التربوي، وتحليل المفاهيم التربوية التي حواها فكر مالك بن نبي، وابراز معالم الفلسفة التربوية لفكر مالك بن نبي التربوي، ومن أهم نتائجها: إن للمجتمع دوراً مهماً في التغيير وذلك بتبصير الأفراد والجماعات بدورهم في إصلاح أنفسهم وتغلبهم على المشكلات التي تواجهه مسيرة حياتهم، ولا يتم التغيير إلا في ظل العقيدة الدينية التي يؤمن بها الفرد المؤمن في المجتمع المعين، وإن سبب انحطاط المسلمين هو إغفالهم للمنطقة الاجتماعية والتركيز على البعد السياسي، وتعد التربية من العوامل التي تحقق القوة السياسية في المجتمع والدولة، والفكرة الدينية هي التي تفجر الطاقات الاقتصادية الكامنة للشخص المؤمن وتوجهه هذه الطاقات إلى بناء المجتمع.

2- منهجية البحث.

يتبع هذا البحث:

1- المنهج التاريخي وذلك لتتبع حياة مالك بن نبي والعوامل التي أثرت فيها.

2- المنهج الوصفي وذلك من خلال تحليل مضمون بعض أقوال مالك بن نبي لاستخلاص الجوانب التربوية فيها.

المبحث الأول- سيرته الشخصية.

هو مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي ولد بمدينة تبسة التابعة لولاية قسنطينة بالجزائر، في يناير عام ألف وتسعمائة وخمسة للميلاد من عائلة محافظة فقيرة، ومن المهد تلقى رعاية تربوية من والديه واللذان حرصا على رعايته وتربيته خوفاً من ملوثات المستعمر وخاصة أن العائلة ملتزمة بالتقاليد الدينية (ميلاد 1998: 27). وعبر مالك بن بني عن تلك السنوات التي عاش فيها طفولته في الجزائر في مذكراته التي كتبها لاحقاً واصفاً فيها الظروف العسيرة التي تربي فيها (بقى والدي ردحاً من الزمن في تبسة دون مورد يعيش منه ودون عمل، لقد كانت هذه الفترة من حياة عائلتي شديدة العسر، إذ مات عمى الأكبر في قسنطينة، وكان قد تبناني منذ أمد بعيد مما جعل زوجه تعيدني إلى أهلي في تبسة، على الرغم مما خلَف ذلك من أسى في نفسها وفي نفسي، لقد فعلت ذلك لأن مواردها لم تعد تسمح لها بإعالتي، ولا أزال في هذا الوسط الجديد من عائلة مفرطة في الفقر أخذت أتعرف على جدتي لأمي، وسمعت الكثير عن أقاصيصها وحكاياتها التي كانت محورها العمل الصالح وما يليه من ثواب، وعمل السوء وما يليه من عقاب، وكانت هذه الأقاصيص الورعة تعمل على تكويني دون أن أدري، وإحدى حكاياتها عن الإحسان جعلتني وأنا ابن السادسة أو السابعة من عمري أقوم بعمل ربما كان على ما أعتقد أسمى ما قمت به في حياتي). يؤكد مالك بن نبي أنه مدين لجدته إذ كان لها الأثر الواضح في صياغة شخصيته منذ الصغر، يقول: (في ظهيرة يوم الجمعة أخذت نصيبي من الرفيس وهى حلوى تبسية تُصنَع من الطحين والسكر والتمر والزيت أخذت أقضمه بنهم ولذة، وفجأة سمعت بباب الدار سائلاً ينادي: (أعطوني من مال الله). ولم أكن عندها أكلت أكثر من نصفها، ومع ذلك بادرت بإعطائها له عندما تذكرت واحدة من حكايات جدتي عن الإحسان وثوابه).(darfikr.com 10/1/2017). يبين مالك بن نبي هذا التأثير الكبير لجدته في مدة حياته مرة أخرى بقوله: (بعد ربع قرن ومن هذا الحادث (الرجل الفقير) وكنت قد أصبحت رجلاً، وأخذت أدرك إلى أي مدى كنت مدين لتلك الجدة العجوز، وعندما كنت طالباً في باريس قمت ذات يوم مع بعض رفقائي في الكلية بعملية استبطان، وكان على كل منا أن يجيب على السؤال التالي: ما هو أهم حدث في حياتك ولمن تنسبه؟ لقد أحيا هذا السؤال في نفسي ذكريات قديمة). (darfikr.com 10/1/2017).

يوضح مالك بن نبي أنَ أمه تعبت في حياتها كثيراً لتوفر له العيش الكريم مع حرصها الأكبر على تعليمه (غير أنَ أمي كانت تحول ذلك (الجوع) بممارستها للخياطة، وبالتالي فهي التي كانت تمسك بكيس النقود الذي كان دائماً فارغاً، ولا أزال أفكر أنها كيف اضطرت ذات يوم أن تدفع لمعلم القرآن الذي يتولى تدريسي بدل المال سريرها الخاص، وموارد العائلة كانت هزيلة إلا أننا كنا نحصل على قوتنا بفضل حسن تدبير أمي وانكبابها الليالي الطوال على عملها، ولكن أمي في إدارتها لشؤون العائلة كانت تعرف أن ما يحصل عليه أطفالها من غذاء غير كاف، فكانت تسد النقص بعمل إضافي أيام الجمع).(ميلاد 1998: 78).

يلاحظ مما قاله مالك بن نبي حالة الفقر والحرمان التي عاشها المجتمع الجزائري في ذلك الوقت تحت ظل الاستعمار الفرنسي، لكن هذا لم يمنع أسرته وخاصة جدته من غرس القيم الإسلامية في نفسه الأمر الذي كان واضحاً في فكره ومضمونه التربوي (فجدته لعبت دور المربي الأول الذي صاغ رؤياه الأولية نحو القيم الأخلاقية، كما أن إدخاله الكُتَّاب لتعليم القرآن، وضع في تكوينه شعوراً دينياً معيناً بالإضافة إلى أن الوسط الجزائري العام هو وسط محافظ يحرص على أداء شعائره، فكان أن اعتاد مالك بن نبي على المسجد منذ وقت مبكر من حياته، بجانب هذا كانت انعكاسات الواقع المروية والمشاهدة تملأ وجدانه بأحاسيس مريرة حيث كانت جدته تحدثه عن أمه، وكيف غادرت مدينتها يوم أن دخلها المستعمر، وكيف اضطر أهلها إلى الهجرة إلى تونس وما صاحب ذلك من ترويع، بالإضافة إلى ما كان يسمع ويشاهد وهو في سن السادسة أو السابعة حال بعض أسرته وهم يهاجرون نحو طرابلس الغرب ضمن موجة الهجرة التي اكتسحت مدينة قسنطينة وتلمسان كتعبير عن رفض المساكنة مع المستعمر).(القريشي 1988: 47).

يصف مالك بن نبي الحال التي كان عليها وضع مدينته حين دخلها المستعمر الفرنسي بقوله (لم يعد لعائلات المدينة هم سوى إنقاذ شرف أعراضهن، فيما كان الفرنسيون يدخلون المدينة كانت صبايا المدينة يسرع بهنَ آباؤهن إلى الجهة الأخرى، فكان على جدتي أن تقدم غرباناً على مذبح وطن ينهار إنقاذا لشرف عائلة مسلمة). (2017/1/10ahlalhadeeth.com).

من العوامل التي أثَرت في تكوين شخصية مالك بن نبي الاستماع في أيام السوق إلى القصص والحكايات، (واستمع إلى الحكواتي يقص بطولات على رضي الله عنه في الساحة قرب باب الحديد، ويروى القصاصون حكايات ألف ليلة وليلة، وسيرة بني هلال، ونستمع إلى دروس الإمام بعد صلاة العشاء، وبالطبع فإن مداركي تنمو متأثرة بهذين التيارين).(ميلاد 1989: 79).ومن الشخصيات التي كان لها دور كبير في صياغة مالك بن نبي الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889- 1940م)،(كان منظر الشيخ بن باديس عند مروره أمام مقهى بن يمنة في طريقه إلى مكتبه قد بدأ يثير اهتمامنا فكثير من آرائنا وأفكارنا تتصل بشخصيته أكثر من اتصالها بالشيخ أبو موهوب الذي كان أول من زرعها في نفوسنا).(القريشي 1988: 48). لذلك يذهب كثير من الباحثين إلى أن دعوة مالك بن نبي لإصلاح المجتمع الجزائري هي امتداد طبيعي لما نادي به الشيخ عبد الحميد بن باديس. وكذلك من العلماء الذين أثروا في فكر مالك بن نبي، ابن تيمية الذي يرجع إليه الفضل في ظهور المدرسية السلفية التي سارت على طريق الإمام أحمد بن حنبل، والتي تدعو إلى تطهير العقائد من الخرافات والبدع، وتنادى بالتوحيد وعدم الشرك بالله، ووضح هذا التأثير بإتباعه للمنهج الإصلاحي الذي نادي به الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وقد حاول مالك بن نبي السفر إلى المملكة العربية السعودية من باريس لكن السلطات الفرنسية أصبحت حائلاً دون تحقيق هذه الرغبة، وعاد مالك بن نبي من مصر إلى الجزائر عام 1963م أي بعد استقلال الجزائر من الاستعمار الفرنسي بعام واحد، وعمل في مجال التربية والتعليم حيث عين مستشاراً للتعليم العالي ثم مديراً لجامعة الجزائر، وبعده وزيراً للتعليم العالي، واستقال من هذا التكليف في عام 1967م وتفرغ للعمل الدعوى والفكري، حيث كانت له ندوة أسبوعية بمنزله يقصدها العلماء وخاصة الشباب.

أظهر مالك بن نبي حباً للقراءة والاطلاع والنقاش عند دخوله للمرحلة الثانوية والتي أقام فيها في بيت عمه محمود، حيث لاحظت زوجه التفوق والنبوغ الذي أظهره ابن نبي مقارنة بأقرانه عندما كانت تخاطب زوجها: (ألا ترى ابن أخيك يتحدث جيداً بالقياس إلى من هم في سنه).(Islam story2017/1/7).ثم انتقل مالك بن نبي إلى السكن الداخلي بعد نجاحه وتفوقه في الامتحانات وبدأت شخصيته تتضح بصورة أكبر من خلال الحوارات والمناقشات في المواضيع العلمية والدينية(كنا نتردد على بعض البعثات التبشيرية الإنجيلية لنناقش بعض الموضوعات مثل ألوهية المسيح، وكان يشاركني طالب في الشريعة حفظ القرآن، ثم اعتنق فيما بعد البروتستانتية على يد امرأة انجليزية، وهنالك تعرفت على بعض تلاميذ الشيخ بن باديس الذين جاءوا يدافعون عن الإسلام، لقد شعرت بأنني وهؤلاء في اتجاه فكرى واحد، وهذا ما لم أشعر به مع من كنت أعاشرهم من طلبة المدارس الثانوية المسلمين، كأنما اسم الشيخ بدأ يتردد في المدينة).(ميلاد 1989: 51).

في عام 1925م قرر مالك بن نبي السفر مع أحد أصدقائه إلى فرنسا للعمل ولكنه عاد بعد فترة قصيرة إلى بلدته تبسة، فعمل موظفاً وتاجراً لمدة خمس سنوات، حيث لم يحالفه التوفيق في ذلك، ثم عزم للسفر إلى فرنسا مرة أخرى وهو أكثر تصميماً إلى أن لا يعود مرة أخرى لبلده إلا وهو يحمل شهادة المحاماة طمعاً في تحقيق رغبة أسرته، ولكنه لم يجتاز امتحان الدخول للمعهد رغم قناعته بأنه بذل جهداً كبيراً لاجتياز هذا الامتحان، وأرجع السبب في ذلك لكون الأمر لا يعدو أن يكون قد خضع لمقياس سياسي، ولكنه لم ييأس وإنما وجد فرصته في الدراسة بالانتساب في مدرسة اللاسلكي، إلى جانب اهتمامه بدراسة علم الاجتماع وعلم مقارنة الأديان والفلسفة والفنون والكيمياء والرياضيات (كنت أريد أن أفهم كل شيء، الجبر والهندسة والكهرباء والميكانيكا، وانطلقت يحركني إيمان

الوارد إلى دين جديد فانكبت على تحصيل العلم بلهفة من يرى كل ما في وطنه وفي المجتمع الإسلامي من جهل، ومن أصناف الانحطاط).(2017/1/10ahlalhadeeth.com).

تزوج مالك بن بني من امرأة فرنسية مسلمة اسمها خديجة وسكن بالحي اللاتيني حيث سكن معظم العرب والأفارقة الوافدين من بلاد المغرب العربي، واستطاع التعرف على كثير من الطلاب من بلاد المغرب العربي، وأخذ يمارس عمليات التوعية الفكرية والسياسية حتى لقب ب(زعيم الوحدة المغربية) إلى جانب مساهمته في توزيع المنشورات المناهضة للاستعمار، ومن بعد تواصل مع عدد من أبناء الجاليات الأخرى.

تعتبر محاضرته بعنوان (لماذا نحن مسلمون) التي ألقاها أمام الطلاب المسلمين بباريس في عام 1931م أكبر نقطة تحول في حياة مالك بن بني، وأظهر فيها براعته في الإقناع، وكان من نتائج هذه المحاضرة أن لاحقته الأجهزة الأمنية وتم التضييق على والده بالجزائر إلى أن تخرج مالك بن بني مهندساً كهربائياً عام 1935م، ولم يجد أي فرصة للعمل بسبب رصد المستعمر لحركاته وملاحقته بصورة مستمرة، وتم توقيفه من العمل عندما عمل مع أحد أصدقائه في مجال الأطفال بحجة أنه لا يحمل أي مؤهل تربوي.

عاد مالك بن بني إلى الجزائر لكنه لم يمكث فيها إلا قليلاً حيث رجع إلى فرنسا مرة ثانية في عام 1939م، فعمل في جريدة الليموند واستطاع أن يتصل بكثير من المفكرين والمستشرقين، واستطاع من خلال كتاباته ومناقشاته أن يجذب إلى فكره كثير من العلماء الفرنسيين(حتى وُصِف كتابه الظاهرة القرآنية الذي طبع في باريس عام 1947م، أنه أوقد شرارة في أعماق الفكر الأوربي، وفتح نافذة أطل من خلالها العديد من المثقفين والقراء الفرنسيين على القرآن والإسلام، منهم الدكتور سليمان بنوا الذي أسلم معترفاً بأنه مدين بالشيء الكثير لكتاب مالك بن نبي الظاهرة القرآنية.(القريشي 1988: 127) ثم سافر مالك بن نبي إلى القاهرة في منتصف الخمسينيات من القرن الماضي والتي اختارها لما تمثله من مركز ثقل لحركات التحرر والعروبة، حيث استطاع فيها أن يتصل بقادة الفكر والثقافة في العالم العربي والعالم الإسلامي، وقدم محاضرات كثيرة في الجامعات والأندية الثقافية، إلى جانب إتقانه للغة العربية وأصبح منزله محطة يؤمها أهل الثقافة والفكر(كانت إقامته في القاهرة فرصة عظيمة حيث أتقن اللغة العربية، وتعرَف على الكثير من رجال العلم والثقافة فيها، واختير في هذه الفترة مستشاراً للمؤتمر الإسلامي بالقاهرة وشارك في العديد من المؤتمرات، بالإضافة إلى مشاركته في مجمع البحوث الإسلامية، وكانت مرحلته بالقاهرة بمثابة تقديمه إلى العالم العربي الإسلامي(الخطيب 1988: 97).

من أهم مؤلفات مالك بن نبي كتاب الظاهرة القرآنية، المسلم في عالم الاقتصاد، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، فكرة الإفريقية الآسيوية، آفاق جزائرية، بين الرشاد والتيه، حديث في البناء الجديد، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، في مهب الريح، مذكرات شاهد القرن، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، النجدة، تأملات، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث إضافة إلى الكثير من المقالات التي نشرت في الصحف والمجلات.

المبحث الثاني- الجوانب التربوية الاجتماعية.

اهتم الإسلام بالتربية الاجتماعية لأن الإنسان اجتماعي بطبعه، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13).(الحجرات: 31) يعرف مالك بن نبي المجتمع بأنه (الجماعة التي تغيّر دائماً خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعي إليه من هذا التغيير، وهذا المجتمع يمثل تجمع أفراد ذوى عادات متحدة ويعيشون في ظل قوانين واحدة، ولهم فيها مصالح مشتركة).(ابن نبي 1987: 87).واهتم مالك بن نبي في معظم مؤلفاته وكتاباته بالمجتمع ومشكلاته، فهو يرى أن حل هذه المشكلات في أي مجتمع يكون في ذات المجتمع الذي لا يكوِّن صرحه إلا إذا

عاد إلى حضارته، والدليل على اهتمامه بالمجتمع ومشكلاته أن اختار لكل إنتاجه الفكري عنواناً كبيراً تَصدَّر كل أسماء مؤلفاته وهو "مشكلات الحضارة ".إن مشكلة المجتمع المسلم في نظر مالك بن نبي هي مشكلة حضارة عنده، وحلها يكمن بدعوة المجتمع المسلم للنهوض بمهمة الإصلاح الاجتماعي، وهو لا يتم إلا بتطبيق الإسلام، ويستدل على ذلك بقوله تعالى: (قالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ (هود: 88) والتغيير في المجتمع يبدأ بتبصير الأفراد والجماعات بدورهم في إصلاح أنفسهم وتغلبهم على المشاكل التي تواجه مسيرة حياتهم، ويرى مالك بن نبي أن وسيلة التغيير الذي يجب أن تسعى إليه الجماعة، هو زيادة الوعي ونشر التعليم والقضاء على العادات والتقاليد الضارة والصراعات القبلية والطائفية وإثارة التفرقة العنصرية وتعليم الناس أمور دينهم، والتمسك بالأخلاق الفاضلة والقيم السمحاء، قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ).(الرعد11).فالضمير في الفعل "يغيروا" يعود إلى الجماعة نفسها في رأيه وهي التي تحمل مفتاح الحل نحو الإصلاح والتنمية والتطوير(إنّ تطور الجماعة يؤدى بها إما إلى شكل راقٍ من أشكال الحياة الاجتماعية وإما أن يسوقها على عكس ذلك إلى وضع مختلف).(ابن نبي 1987: 90).والجماعة في فكر مالك بن نبي هي المسؤولة عن التغيير(تكسب الجماعة صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غاياتها وهذا يتفق من الوجهة التاريخية مع لحظة انبثاق حضارة معينة).(ابن نبي 1987: 102) وفي اهتمامه بالفرد الذي يمثل لبنة الحضارة في المجتمع يقول مالك بن نبي: (الشخص في ذاته ليس مجرد فرد يكوّن النوع، وإنما هو الكائن المعقد الذي ينتج حضارة، وهذا الكائن في ذاته نتاج الحضارة إذ هو يدين لها بكل ما يملك من أفكار وأشياء).(ابن نبي 1987: 106).وعلى الرغم من أنّ الحضارة عنده تنتج من تفاعل ثلاثة عناصر هي الإنسان والتراب والوقت، إلا أن توفر هذه العناصر واجتماعها لا يحقق النتيجة إلا إذا توفر عامل مساعد وهو الدين، ويضرب بذلك مثلا بقوله: (الماء في الحقيقة نتاج للهيدروجين والأكسجين، وبالرغم هذا فهما لا يكونانه تلقائياً، لأن تركيب الماء يخضع لقانون معين، يقتضي تدخل مركب ما وبدونه لا تتم عملية تكوين الماء، وبالمثل لنا الحق في أن نقول إن هناك مركباً يطلق عليه مركب الحضارة، أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض وهو الفكرة الدينية التي رافقت دائماً تركيب الحضارة خلال التاريخ).(ابن نبي 115: 1987) ويرى مالك بن نبي أن المجتمع يتكون من ثلاثة مركبات هي: عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، ويرى أن غنى المجتمعات لا يقاس بكمية ما تملك من أشياء، بل بمقدار ما فيها من أفكار ويضرب مثلاً لذلك (لقد دُمرِت ألمانيا وتعرضت روسيا إبّان الحرب العالمية إلى دمار شامل في عالم الأشياء، ولكنهما سرعان ما أعادتا بناء كل شيء بفضل رصيدهما من الأفكار).(ابن نبي 1987: 123). وقياساً على ذلك يرى مالك بن نبي أن يعتز المجتمع الإسلامي بقيمه وتراثه وألا ينحاز لأي من التيارات الفكرية المختلفة.

إن الجانب التربوي الاجتماعي عند مالك بن نبي يعد من أهم المجالات التي تنبع من مفاهيم التربية الإسلامية في تربية الأفراد والمجتمع وهو يسعى إلى تكوين المجتمع الذي تسوده الأخلاق الفاضلة، ويستدل على ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق).(البخاري 1987: 3/ 231). وبالتالي يسود في المجتمع الإسلام والخير والمحبة والإيمان والعدل والحرية والشورى والتسامح والاستقرار والأمن، قال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه).(البخاري 1987: 2/ 121). ومن هنا أتت أهمية التربية الاجتماعية التي أولاها مالك بن نبي في فكره وركّز جلّ اهتمامه على مشاكل المجتمع وخاصة في كتابه شبكة العلاقات الاجتماعية، وهنا يلاحظ تأثر مالك بن نبي بآراء ابن تيمية.

أدرك ملك بن نبي أهمية التربية ودورها الفاعل في بناء المجتمع وأثرها في تحقيق الرفاهية والاستقرار والسعادة لأفراد المجتمع، باعتبار أن التربية هي أهم العوامل التي تساعد على تنمية الفرد وإعداده للحياة

الاجتماعية، وأن نجاح الفرد يؤدى إلى تنمية المجتمع في المجال الاقتصادي والاجتماعي وهو ما يجعل المجتمع يتجاوز مشكلاته المختلفة ويصل إلى درجه التحضر، ويعتقد مالك بن نبي أن أصول التربية الاجتماعية تستمد من التطبيق العملي المتمثل في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، والتي يوافق فيها القول الفعل، فكان- ﷺ- يلتزم الصدق والإخلاص وسلامة الضمير وطهارة النفس، لذا قام بناء المجتمع الإسلامي على تقوى من الله، وقد كان- ﷺ- سريع الاستجابة في تنفيذ الأوامر الإلهية. قال تعالى: (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنْ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِين).الأنعام 14- 15)، فكان حقاً المربي الأول والقدوة في السلوك والمعاملات قال تعالى: (لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا) (الأحزاب 21)، وفى ذلك يقول مالك بن نبي: (لم يصنع الرسول- ﷺ- نفوساً مؤمنة تقية فحسب، بل صنع عقولاً مستنيرة وطرق إرادات فولاذية، إنه ينمي الشعور بالمسؤولية ويشجع المبادأة في كل إنسان، ويعظّم الفضيلة في أبسط صورها، وإن التّأسي والمسارعة لهما رائد كل عضو في الجماعة، أنه يرى نفسه في سباق إلى الخير بحسب أمر القرآن).(ابن نبي 1987: 69)،ويستمر مالك بن نبي في توضيح أهمية الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم، فيستدل بأحاديث له، كان- ﷺ- يكثر من الصلاة والعبادة ويقول: (أنا أعبدكم لله).(النيسابوري، د. ت: 6/ 237) وكان يُصلي بالليل حتى تتفطر قدماه وفى ذلك يقول: (لقد احتمل النبي- ﷺ- كل المتاعب التي فرضها على جنده من خلال الحقيقة المضنية وهي مبرر هائل ورائع ارتبطت فيها عبقرية مصور الصحراء بنفس المؤمن المضطربة، ومحمد- ﷺ- باعتباره نبياً يلتزم دائماً في سلوكه الشخصي الحقيقة المنزلة، فهو يقوم جزءاً كبيراً من الليل متنفلاً لكنه لا يلزم أتباعه بذلك). (ابن نبي 1987: 174)، وهنا يلاحظ اهتمام مالك بن نبي بالسيرة النبوية الشريفة حيث ثبت في كتاباته كثيراً من أحداثها العملية. وفي ذلك يقول مالك بن نبي: (وهو مع كونه- ﷺ- قائداً، لا يستأثر بأي ميزة دون صحابته، بل إنه في سلوكه الشخصي يعرفهم بحدود الجهد الإنساني، فلقد كانوا يؤسسون بالمدينة أول مسجد في الإسلام، ولقد كان النبي- ﷺ- كما كان صحابته يحملون الحجارة على أكتافهم وكل منهم يحمل لبنة، لكنه يلحظ مؤمناً متواضعاً هو عمار بن ياسر يحمل كل مرة لبنتين، فيخاطبه ليزكى حماسه قائلاً: (للناس أجر ولك أجران). (ابن نبي 1987: 185)، ويضرب مالك بن نبي مثلاً برفع العامل الروسي استخانوف لإنتاجه اليومي إلى الضعف مقارناً إياه بالعمل المضاعف الذي بذله أصحابه- ﷺ- في بناء مسجد المدينة، أو حفر خندق وفى كلتا الحالتين نجد أن الإيمان هو الذي مهَّد الطريق إلى الحضارة. وينطلق تفكير مالك بن نبي التربوي من تربية الجيل المثالي من أصحاب الرسول- ﷺ- الذين نزل فيهم قوله تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ). (آل عمران 110). ولا يدرك هذا الإصلاح في نظره إلا إذا قام كل فرد من المجتمع بواجبه وبالتالي تكتمل لبنات البناء الحضاري ويكتمل بنيان الإصلاح عن طريق الأفراد والمؤسسات والهيئات والجمعيات والأندية والمشاريع الاقتصادية التي تقود عملية التغيير الحضاري، ويلاحظ هنا تأكيد مالك بن نبي على الاقتداء بالرسول- ﷺ- وأصحابه رضي الله عنهم في التطبيق العملي لتعاليم الإسلام، وفق ما يستطيعه كل مسلم.

المطلب الأول- المرأة عند مالك بن بني:

اهتم الدين الإسلامي بالمرأة، وأكّد على أن لها دوراً مهماً وكبيراً في بناء المجتمع، فهي أساس الأسرة التي تقوم بمسؤولية كبيرة تجاه أفرادها، وإذا صلحت المرأة وصلح الرجل صلحت الأسرة التي تكون المجتمع بل الأمة المسلمة. قال تعالى: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ

خَيْراً لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (آل عمران 110) وبهذه الخيرية يبلغ المجتمع المسلم أعلى درجات الحضارة وهو الهدف الذي ينادي به مالك بن نبي.

يبدو اهتمام الإسلام باللبنة الأولى في المجتمع، وهى الأسرة التي تمثل المرأة فيها حجر الزاوية والدور المهم في تنشئة الطفل، وهذه اللبنة تبدأ باختيار الزوجة الصالحة. قال صلى الله عليه وسلم: (تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك).(البخاري 1987: 236/6) وفي اختيار الزوجة لزوجها قال صلى الله عليه وسلم: (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقة فانكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير).(النيسابوري 1990: 321/6). وللمرأة مسؤوليات كما للرجل مسؤوليات في بناء الأسرة، ولكن المرأة تتحمل العبء الأكبر لأنها تلازم الطفل من طور النطفة حتى سن التمييز.

يقول الشاعر:

الأم مدرسة إذا أعدتها *** أعددت شعب طيب الأعراق

قال صلى الله عليه وسلم: (كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعي على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عنهم، والعبد راع على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته). (البخاري 1989: 321/7). فهذا الحديث حدَّد المسؤولية لكل أفراد المجتمع دون تمييز لرجل أو امرأة لأنهم مشاركون في بناء المجتمع الإسلامي كل حسب دوره وطبيعة خلقه.

اهتم مالك بن نبي في مشروعه التربوي بتحديد نوع وطبيعة المشكلات التي يواجهها المجتمع الإسلامي، ومن ضمن هذه المشكلات قضية المرأة التي تعرَّضت للكثير من التشويه وسوء الفهم، ويعتقد مالك بن نبي أن قضية المرأة تندرج ضمن المنظومة الفكرية العامة التي حددها في مشكلة الحضارة. (فمشكلة الحضارة بأبعادها الشاملة السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية هي مشكلة قضية لا تتجزأ وأي تجزئة لها يقود حتماً إلى طرح المشكلات طرحاً خاطئاً، ومن ثم تم تحديد وسائل خاطئة للعلاج). (ابن نبي 1989: 186).يقول مالك بن نبي في كتابه شروط النهضة (ليس هنالك مشكلة للمرأة معزولة عن الرجل فالمشكلة واحدة، هي مشكلة الفرد في المجتمع الذي وضع المرأة في مواجهة الرجل، وهذا تشويه للصراع الحضاري، لأنه يضع الزوجة في مواجهة الزوج، والبنت في مواجهة الأب، والأخت في مواجهة الأخ، فيتحول الصراع من صراع المجتمع ضد التخلف الحضاري والأتراب إلى صراع داخل المجتمع نفسه مما يلهيه عن التصدي للتحديات في بناء متماسك، وإن وضع جدار فاصل بين المرأة والرجل يؤدي إلى البحث عما يفرق ويجمع بينهما، وبعد ذلك إيجاد ما ينقص المرأة إزاء الرجل وهل هي أكبر أو أصغر منه أو تساويه في القيمة، وأن هذه الأحكام ما هي إلا افتراءات على حقيقة الأمر ومحض افتراء).(ابن نبي 1989: 187).

ينتقد مالك بن نبي موقف المتمسكين بإبعاد المرأة عن المجتمع وإبقاءها في وضعها التقليدي الذي كرَّسته التقاليد، كما انتقد موقف الداعين إلى أن تخرج المرأة متحررة وتلفت إليها الغرائز، وإذا كان الموقف الداعي لتحرر المرأة على النمط الغربي يهدد المجتمع الإسلامي، فإنّ موقف المتمسكين أشد خطراً لأنه يعطى أعداء الأمة المبررات للخوض في سمعة الإسلام والتشكيك فيه، ويجعل المرأة تعجب بالنموذج الغربي المتحرر وفي ذلك يقول: (إن إعطاء حقوق المرأة على حساب المجتمع معناه تدهور المجتمع، وبالتالي تدهورها، أليست هي عضواً فيه،فالقضية ليست قضية فرد وإنما هي قضية مجتمع).(ابن نبي 1989: 193) ويرى مالك بن نبي أن حل المشكلة يكمن في التخلص من نظرة الإعجاب التي ينظر بها أنصار تحرر المرأة إلى المرأة الأوربية وفى ذلك يقول: (إنهم أغرموا بالنظر إلى الأوربي في مظهره فحسب، وقد ساهمت المرأة نفسها في ذلك، فبدلاً من أن تعمد إلى تعلم فن حياكة ملابسها وذوق هذا الفن لتستخدم القماش البسيط في أناقتها، تراها قد اكتفت بشرائها مجهزة مهيأة بيد الأوربية الحاذقة، وبدلاً من أن تجمع المرأة قبضات العشب لأرانبها نراها تصبغ أظافرها وشعرها وتدخن في المقاهي والأندية).(ابن نبي 1989: 194).

وبما أن الحضارة عند مالك بن نبي مكونة من ثلاث مركبات هي (الإنسان والتراب والعقل) فإنّ الإنسان في فكره يمثل المرأة والرجل (نحن نرى لزاماً علينا أن يكون تناولنا للموضوع بعيداً عن تلك الأناشيد الشعرية التي تدعو إلى تحرير المرأة، فالمشكلة لا تحدد في الجنس اللطيف فحسب أو في بنات المدن أو بنات الأسر الراقية، بل هي فوق ذلك تتعلق بتقدم المجتمع وتحديد مستقبلة وحضارته). (ابن نبي 1989: 211). فالحضارة إبداع وتميز وليست تقليداً وتبعية وهو ما يوضحه (خليل 1989: 97). (الهيكل الحضاري للرؤيا الإسلامية يشبه المثلث متساوي الأضلاع: الأرض والإنسان والمنهج أو الدين، ومن خلال المساحة المتاحة بينهما يسعي الإنسان لإبراز دوره الاستخلافي في الأرض). فالإنسان الذي يمثل أحد أهم أضلاع المثلث يشمل المرأة والرجل على حد سواء وذلك بتحقيق غاية أكبر هي الاستخلاف وتهيئة الدنيا لعبادة الله وحده. ويدعو مالك بن نبي المرأة المسلمة إلى عدم تقليد المرأة الأوربية، ذلك (أن تقليد المرأة المسلمة الشرقية المرأة الأوربية لا يحل المشكلة وإنما يزيد من تعقيدها لأن انتقال المرأة من امرأة محجبة إلى امرأة سافرة لم يحل المشكلة، فهي لا تزال قائمة وكل ما فعلناه هو أننا نقلنا المرأة من حالة إلى حالة، وسنرى عما قريب أن انتقالها هذا عقَّد المشكلة بعد أن كانت بسيطة). (ابن نبي 1989: 213). ويؤكد مالك بن نبي على ضرورة تمسك المرأة المسلمة بالحجاب الإسلامي والزّى الشرعي، لأنه ليس مسألة جانبية أو شكلية بل هو نموذج حضاري وتوازن أخلاقي (ليس اللباس من العوامل الإسلامية التي تقر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب بل إنَّ له روحه الخاص به، وإذا كانوا يقولون: (القميص لا يصنع القسيس) فإني أرى إلى حد ما العكس من ذلك فإن القميص يسهم في تكوين القسيس لأن اللباس يضفي على صاحبه روحه) (ابن نبي 1989: 243) ويضرب مثالاً في ذلك أن مصطفي كمال أتاتورك الذي قضى على الخلافة العثمانية في سنة 1924م، حين نزع الطربوش واستعاض عنه بالقبعة لا يريد فقط تغييراً شكلياً واستبدال زي بآخر، وإنما أراد اعتماد حضارة وسلوك اجتماعي معين، لذلك جاءت القبعة بمثابة القنبلة التي انفجرت في ذلك المجتمع، فالزي ليس مجرد ديكور خارجي خال من المعاني والمضامين الكبرى في حياة الأمة، بل هو تعبير عن الهوية الإسلامية فهو يسهم في تميز المجتمعات عن بعضها ويعطها خصوصيتها المتفردة، ويجعل الفرد يشعر بانتمائه لثقافته وحضارته الخاصة، ويعطيه الشعور بالتكاليف الاجتماعية التي يضعها عليه لباسه المميز).(ابن نبي 253: 1989)، أما بالنسبة للمرأة فإنّ الزى يمثل حقيقة وفكر المجتمع، يقول مالك بن بني وهو يعبر عن طبيعة الحضارة الغربية وثقافتها الساعية إلى تقديس مبدأ اللذة: (غير أنها أصبحت اليوم – أي المرأة الغربية – تلبس اللباس الفتّان المثير الذي لا يكشف عن معنى الأنوثة، فهو يؤكد المعنى الجسدي الذي تمسّك به سادة الغرام باللذة العاجلة).(ابن نبي 1989: 256).

يضرب مالك بن نبي نموذجاً حياً لتكييف المرأة مع الاختيار الثقافي والحضاري والسياسي عن طريق الزى وهو أنموذج المرأة اليهودية في الجزائر إبّان الاحتلال الفرنسي، والتي كانت تتهيأ للهجرة من الجزائر إلى فلسطين لتندمج في حياة دولة إسرائيل، فقد كانت هذه المرأة تأتى من أطراف الواحات الصحراوية الجزائرية بأزيائها البلدية للتحول إلى مواطنة يهودية ومنذ أن تصعد إلى الباخرة تترك المِلفَحة والكحل وترتدي الأزياء التي تناسب المجتمع الجديد، وهذا التغيير الشكلي في حقيقته هو مجرد خطوة أولى في سلسلة تطورية تصل إلى حد التغيير النفسي والفكري بعد أن تكون المرأة اليهودية ألقت عن جسدها اللباس القديم الذي كان يربطها بالمجتمع منذ قرون، واستعدت لبناء شخصيتها وتشكيل وعيها في المحيط الجديد).(ابن نبي 1989: 256). ويرى مالك بن نبي أن توضع أزمة المرأة الأوربية في الاعتبار بعد أن فرضت عليها التغييرات الاقتصادية والاجتماعية الخروج للعمل: (فقد كانت المرأة في أوروبا ضحية هذا الخروج لأنّ المجتمع الذي حرَّرها قذف بها إلى المصنع والمكتب، وقال عليك أن تأكلي من عرق جبينك في بيئة مليئة بالأخطار على أخلاقها، وتركها في حرية مشؤومة ليس لها ولا للمجتمع فيها نفع، ففقدت وهي مخزن العواطف الإنسانية الشعور بالعاطفة نحو الأسرة، وأصبحت بما ألقي عليها من متاعب العمل صورة مشوهة للرجل دون أن تبقي امرأة، وعليه يجب أن نضع قضية تحرر المرأة المسلمة في إطارها الحضاري الإسلامي الطبيعي، وفى إطار

الخصوصيات الحضارية والثقافية للأمة، لذا ينبغي أن نطبع حركتنا النسائية بطابعنا لا بطابع ما يصنع في الخارج).(ابن نبي 1989: 261). ولحل مشكلة المرأة يقترح مالك بن نبي عقد مؤتمر عام تحدد فيه مهمة المرأة بالنسبة لصالح المجتمع ويشارك فيه إلى جانب علماء الشريعة، والأطباء وعلماء النفس والاجتماع وعلماء التربية، وحينئذ يمكن القول إننا وضعنا المنهج الأفضل لحياة المرأة ولسوف يكون هذا المنهج حتما في صالح المجتمع لأن علماءه والمفكرين فيه هم الذين وضعوه وينبغي أن تكون مقررات المؤتمر العام دستورا لتطور المرأة في العالم الإسلامي). (ابن نبي 1989: 263).

المطلب الثاني- التغيير الاجتماعي:

تبنى مالك بن نبي في أفكاره التربوية منهج تغيير ما بالأنفس أولاً، والاستفادة من إيجابيات الحضارة الغربية ثانياً، ودعا إلى تكوين مجتمع يقوم على الانسجام في الفكرة والعمل ومناهضة القابلية للاستعمار التي يتصف بها المجتمع المسلم، وركز جهوده على الإنسان كباعث أساسي لأي حضارة وعلى دور العقيدة، ويرى أن العلم والأخلاق أصلان من أصول الحضارة، وهذا الرأي هو نتيجة واقعية لاطلاع مالك بن نبي على الثقافة الأوربية ومعايشته لها في وطنها، إضافة إلى ثقافته الإسلامية، كل ذلك جعل فكره التربوي الاجتماعي يمتاز بالتطور والقدرة على التحليل، وهو يمثل اتجاهاً متميزاً في فلسفة الإصلاح، وله مدرسة فكرية تهتم بقضايا المجتمع ومشكلات الحضارة، ترى أن العالم الإسلامي على الرغم من تخلصه من الاستعمار إلا أنه يعيش مخلفاته التي كبلت حركته وأعاقت تقدمه وتطوره، وأن الهزيمة التي يعيشها المسلم اليوم لا يمكن أن يتحرر منها إلا إذا تخلص من القابلية للاستعمار، وأن نهضة المسلم لا تتم إلا إذا انتصر على نفسه وسعي إلى التغيير، مصداقاً لقوله تعالى: (ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (الأنفال ، 53).(القريشي 1988: 212).

وفي ذلك يقول مالك بن نبي: (لقد انتهي المجتمع الإسلامي منذ عدة قرون إلى آخر خطوات حضارته، وهو اليوم في مرحلة ما قبل التحضر من جديد، ولقد بذلت جهوداً كبيرة خلال ما يقرب من قرن لكي تدب فيه الحركة من جديد، لكن إقلاعه يبدو ثقيلاً وبطيئاً إذا ما قورن ببعض المجتمعات المعاصرة مثل اليابان والصين الشعبية التي كانت متأخرة عنه بكثير، وأنّ هناك نوعين من المعوقات، فالمدافعون عن الاستعمار يرجعون إلى الإسلام سبب تأخير الإقلاع، وأما حاملوا لواء النظرية القومية فيعزونه إلى الاستعمار وفي تلك النظريتين خطأ جسيم، فالفريق الأول يتجاهل حقيقة صارخة وهى أن الاستعمار مسؤول عن النصيب الأكبر من الفوضى التي تسود العالم الإسلامي اليوم، وأما الفريق الثاني عندما يلقي اللوم على الاستعمار يحاول أن يخفي سياسة التملق التي يتبعها مع شعوبه كونها لا تخفف من القضاء على المشكلة).(ابن نبي 1987: 217) ويوصي مالك بن نبي الفرد المسلم بأن يركز جهوده في القيام بواجبه كاملاً، ويناشد المسلم ألا يتخذ ذرائع كثيرة وإجابات تبريرية، فيُبرر غيابه عن العمل بصعوبة المواصلات ومشاكل السكن وتدنى الأجور مقابل بذل الجهد اللازم، ويُبرر عدم الجودة في العمل بغياب المحفزات(حتى أصبحنا لا نتكلم إلا في حقوقنا المهضومة ونسينا الواجبات، وبدلاً من أن تكون البلاد ورشة للعمل المثمر، والقيام بالواجبات الباعثة للحياة فإنها أصبحت سوقاً للانتخابات، وصارت كل منضدة في المقاهي منبراً تلقى منه الخطب الانتخابية، فلكم شربنا في تلك الأيام الشاي، وكم سمعنا من الاسطوانات وكم رددنا عبارة أننا نطالب بحقوقنا، تلك الحقوق الخلابة التي يستهلكها الناس فلا يعمدون إلى الطريق الأصعب طريق الواجبات).(ابن نبي 1987: 225).

المبحث الثالث- الجوانب التربوية الاقتصادية.

أصبح ينظر إلى التربية منذ منتصف القرن الماضي على أنها عملية استثمار في الموارد البشرية، وهى بذلك لم تعد مجرد خدمة تقدم لمن يطلبه، أو أداة لاستغلال أفراد المجتمع لخدمة أهداف ومصالح النظام السائد في دولة ما

فقط، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية دخلت المصطلحات الاقتصادية مجال التربية والتعليم، مثل حساب المدخلات والمخرجات والعائد من التعليم والعائد التربوي وغيرها، وأكَّدت كثير من الدراسات والبحوث التي أجريت في هذا المجال أن الاستثمار في الموارد البشرية يفوق أضعافاً مضاعفة الاستثمار في أي مورد أو موارد أخرى، والشاهد في هذا التقدم الذي أحرزته اليابان في فترة وجيزة بعد خروجها مهزومة في الحرب العالمية الثانية، وكذلك بعض الدول العربية كالإمارات العربية المتحدة حديثاً، وذلك بحسن تدبيرها وتخطيطها في مجال صياغة الإنسان وإعداده عن طريق التربية والتعليم.

يربط مالك بن نبي ربطاً وثيقاً بين الدين والطاقة الاقتصادية، حيث أن الدين هو المحرك للطاقة الاقتصادية يقول: (إن العنصر الديني يدخل في تكوين الطاقة النفسية الأساسية لدى الفرد وفي تنظيم الطاقة الحيوية الواقعة في تصرف الفرد ثم توجيه طاقته وفقاً لمقتضيات النشاط الخاص بهذا (الأنا) داخل المجتمع وتبعاً للنشاط المشترك الذي يؤديه للمجتمع في التاريخ). (ابن نبي 1987: 78). ويؤكد ابن نبي أن الفكرة الدينية هي التي تدفع المؤمنين للعمل والإنتاج وتحقيق الرفاهية الاقتصادية، وهذا الأمر ينطبق على الحضارة الإسلامية والمسيحية بل حتى الحضارات الأخرى كالشيوعية، والتي اعتبرها مالك بن نبي فكرة وليدة الإيمان(والشيوعية في جوهرها نشاط المؤمنين المدفوعين بنفس القوة الداخلية التي دفعت غيرهم من المؤمنين في مختلف العصور، فنحن لا يمكننا أن نفكر في المثل الذي ضربه " استخانوف " للطبقة العاملة في روسيا حيث رفع مستوى الإنتاج اليومي إلى الضعف في مناجم الفحم، دون أن نفكر في المثل الذي ضربه سلمان الفارسي الذي كان يقوم بأضعاف العمل الذي يؤديه الصحابي الواحد في حفر الخندق، أو المثل الذي ضربه عمار بن ياسر حين كان يحمل حجرين على كاهله في بناء مسجد المدينة حيث كان الفرد يحمل حجراً واحداً، ففي كلتا الحالتين نجد أن الإيمان هو الذي مهَّد الطريق للحضارة).(ابن نبي 1989 189).

إن الدين الإسلامي يدعو إلى الجد والعمل وذلك لتعمير الأرض وتحقيق الخلافة في الأرض قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ). (البقرة 30). فالاستخلاف يتطلب عمران الأرض الذي لا يتم إلا بالإنتاج والعمل المشروع كالتعليم والزراعة والتجارة والرعي وغيرها، وحتى الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) رغم مسؤولياتهم الجسام، وهى التبليغ والدعوة إلى الله، كانوا قدوة في العمل. قال ﷺ: (ما من نبي إلا ورعى الغنم).(البخاري 1989: 287/5) فنوحاً عليه السلام كان نجاراً، وإدريس عليه السلام كان خياطاً، وقد كان داود عليه السلام يصنع الدروع، وعمل سيدنا موسى عليه السلام أجيراً عند شعيب قال تعالى: (قالتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ).(القصص 26).والمربى الأعظم رسول الله- ﷺ- هو قدوتنا في العمل، فقد كان يرعى الغنم لأهل مكة، واشتغل بعد ذلك بالتجارة، وكل ذلك لاهتمام الإسلام بتعمير الأرض، وتفجير الطاقات والموارد الكامنة في باطن الأرض وظاهرها، قال تعالى: (وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ).(هود61).

أولى مالك بن نبي كل اهتمامه لتحريك الإنسان المسلم – الذي يمثل جوهر الحضارة وعمودها الرئيسي – نحو الإنتاج والعطاء للنهوض بالمجتمع، فهو يرى أنه طالما بقى المجتمع عاجزاً عن إيجاد البدائل الفكرية والمنهجية التي تنسجم مع عقيدته وواقعه، فهذا يعنى أن المجتمع ما زال يعانى من التبعية والتخلف ولم ترق أفكاره بعد إلى درجة الاستقلال والتحرر الشاملين، وهذا هو الذي يشكل خطراً على حاضر ومستقبل المسلمين لأن (المجتمع الذي لا يصنع أفكاره الرئيسية لا يمكن على أية حال أن يصنع المنتجات الضرورية لاستهلاكه ولا المنتجات الضرورية

للتصنيع، ولا يمكن لمجتمع في عهد التشييد أن يبنى بالأفكار المستوردة أو المسلطة عليه من الخارج، فعلينا أن نكتسب خبراتنا وأن نحدد موضوعات تأملنا، ولا نسلم أن تحدد لنا بكلمة، علينا أن نستعيد أصالتنا الفكرية واستقلالنا في ميدان الأفكار حتى نحقق بذلك استقلالنا الاقتصادي والسياسي). (ابن نبي 1987: 231).

ينتقد مالك بن نبي التبعية الاقتصادية للغرب واستيراد منتجاته دون الاهتمام باستثمار ما تملكه الدول الاسلامية من موارد(عملية استيراد أشياء الغرب ومنتجاته والاكتفاء بذلك سبيلاً للتقدم أشبه بالذي يحاول أن يعالج أعراض المرض ونتائجه البارزة الظاهرة للعيان، بدلاً أن يعالج أسبابه العميقة وأصوله الباطنية، مما يظهر المرض في الظاهر أنه اختفي لكنه في الحقيقة لا يزال ينخر في صحة المريض، ويستنزف قواه في الباطن لهذا يجب علينا معالجة تخلفنا، وألا نتبع سبيل الاستيراد، فنحاول أن نصبغ من الخارج دارنا المتهدمة بلون الحضارة الغربية ونملؤها بالأثاث ونقتنع بذلك كوسيلة تجعل دارنا المحطمة دار قوية شديدة الأركان، فإن النظرة البسيطة تشير إلى أن الدار تستدعي مهندساً يدرس أسباب الخلل، لا تاجراً يملأ البيت بالأثاث والأدوات).(ابن نبي 1987: 211)، ويرى مالك بن نبي أن العالم الإسلامي أصبح سوقاً للبضائع، لذا يحذر العرب والمسلمين من استيراد المنتجات الغربية من سيارات وآلات وعمارات وغيرها، ويضرب بذلك المثل في بناء المسكن الذي يستحيل بناءه بمجرد جمع الرمل والأسمنت والحديد والحجارة وباقي مواد البناء دون وجود أفكار هندسية وتخطيطية والتفاعل بين هذه الأشياء، وتسمى هذه الحضارة بحضارة الأشياء ظناً منها أنها ستنضم إلى ركب الحضارة الغربية، ولكنه يؤكد أن الحضارة إنتاج بشري يشترك فيه المسلمون مع غيرهم ويتطور هذا الإنتاج بفعل التراكم والتجربة وأن الحضارة هي التي تلد منتجاتها.(ابن نبي 1989: 234).

يلاحظ أن الفكر التربوي الاقتصادي لمالك بن نبي يقوم على مفهوم الحضارة، والتي تمثل عنده معادلة رياضية من ثلاث متغيرات هي التراب والإنسان والزمن، وهذه المتغيرات تتفاعل مع الفكرة الدينية بمعناها الواسع الذي يشمل العقيدة أو الايدولوجيا أو حتى المبدأ الأخلاقي، وبذلك يعتبر الاشتراكية والليبرالية والديمقراطية أدياناً جديدة عند مقارنته بمضاعفة الجهد الاقتصادي في العمل بين عمار بن ياسر والعامل الروسي استخانوف، لأن كل منهما يُقدس عمله ويبذل مزيداً من الجهد لتحقيق الغاية التي يؤمن بها، كما يربط مالك بن نبي المنهج التربوي الاقتصادي بالقيم التي خص بها سيدنا صلى الله عليه وسلم، فالفضائل الخلقية هي التي تعد قوة جوهرية في تكوين الحضارات (الروح وحدها هي التي تتيح للإنسانية أن تنهض وتتقدم فحيثما فقدت الروح سقطت الحضارة، وانحطت لأن من فقد القدرة على الصعود لا يمتلك إلا أن يهوي تحت تأثير الجاذبية، والبناء لا يقوى بالعلم والعقل والفن فحسب، فإذا توقف إشعاع العقل يفقد العلم كل معناه، وبالتالي يفقد الإنسان تعطشه إلى الفهم وإرادته للعمل، عندها يفقد الهمة وقوة الإيمان، وبذا يتوقف العالم الإسلامي كما يتوقف المحرك عندما يستنفد آخر قطرة من الوقود).(ابن نبي 1987: 179).ويرى مالك بن نبي ضرورة الاهتمام بالأخلاق وتطبيقها على العلوم الإنسانية الأخرى (إن العلوم الأخلاقية والاجتماعية والنفسية تعد اليوم أكثر ضرورة من العلوم المادية، فهذه تعتبر أكثر خطراً في مجتمع ما زال الناس فيه يجهلون حقيقة أنفسهم، ومعرفة إنسان الحضارة وإعداده أشق كثير من من صنع محرك أو ترويض قرد على استخدام ربطة عنق).(ابن نبي 1987: 183).

يدافع مالك بن نبي عن المنهج الذي يدعو المسلم للدراسة والتعمق في العلوم الاجتماعية والأخلاقية، وعلى الرغم من دراسته للهندسة وتخصصه في مجال الكهرباء، إلا أنه يرى أن العالم الإسلامي ليس في حاجة إلى هندسة بل في حاجة إلى أفكار، وهذه الأفكار هي التي تؤدى إلى الفعالية التي تجعل المسلم يتحرر من قبضة الاقتصاد الغربي الذي يطلق عليه اسم (الاستعمار الجديد) والذي يجعل المسلم زبوناً مقلداً يجمع المنتجات الغربية ويكدسها، ويعقد مالك بن نبي مقارنة بين منتجات الدولة الغربية والدول العربية فيقول: (الدولة الغربية تقدمت بعرض يتمثل في أسمنت ورخام وتطلب حديد للصناعات والبناء ومنتجات كيميائية وعلاجية، بينما الدولة العربية لم تعرض أي شيء

وتطلب مجوهرات وملابس ومساحيق وعطور ولعب وحلوى وفواكه محفوظة وحرير طبيعي وأقطان حرير صناعية، وهذا يدل على اتجاهات العالم الإسلامي التي تنعكس في حياته الاقتصادية وعلاقاته التجارية). (ابن نبي 1987: 192).

يوجه مالك بن نبي نظر أغنياء المسلمين إلى ضرورة الإنفاق على الفقراء وبالذات على التعليم (لقد زاد عدد أغنياء المسلمين على فقرائهم لكن كثيراً من أولئك الأغنياء لا يهتمون بتولي طفل مسلم لتربيته تربية عملية أو فنية بل لا يهتمون برعاية عمل ذي فائدة عامة، ولقد لاحظت في قرية صغيرة من قري قسنطينة حيث توجد مدرسة هي المؤسسة الوحيدة ذات النفع العام، هذه المدرسة توازن بصعوبة ميزانيتها المتواضعة في حدود ستمائة ألف فرنك فقط، أنفق هؤلاء الفقراء الذين يعانون الفقر فعلاً، أنفقوا في ليلة واحدة أكثر من مائتي ألف فرنك ما بين دار الخيالة وكوخ وقمار وبعض المقاهي).(ابن نبي 1987: 195).

يدعو مالك بن نبي إلى تغيير النظرة التقليدية إلى الاقتصاد من مجرد مدخلات ومخرجات إلى اعتباره جزءاً أصيلاً من تكوين الإنسان ويوضح ذلك في تفسيره للآية الكريمة: (إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) (الرعد: 11) بقوله: (لو تدبر أهل الاقتصاد من المسلمين هذه الآية لوصلوا إلى نتيجة أن الاقتصاد ليس قضية إنشاء بنك أو تشييد مصانع فحسب، بل هو قبل ذلك قضية تشييد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات). (ابن نبي 1987: 198). ويؤكد مالك بن نبي أن الاقتصاد الإسلامي يجب أن يقدم تجربة جديدة تتجنب السلبيات التي صاحبت تطبيق الاقتصاد الرأسمالي والاقتصاد المادي (المجتمع الإسلامي أجدر من أن يحقق له وللإنسانية التجربة التي تعيد إلى عالم الاقتصاد أخلاقياته، ويتلافى بذلك الانحرافات التي تورطت فيها الرأسمالية، كما ينجو من ورطة الماركسية المادية التي سلبت الإنسان ما يميزه عن الآلات والأشياء). (ابن نبي1987: 213). ويحذر مالك بن نبي من قفل باب الاجتهاد إذ فيه تعطيل للفكر الإسلامي من الانطلاق والبحث عن حلول للمشكلات التي تواجه المجتمع الإسلامي وخاصة المشكلات الاقتصادية، فهو يعتبر أن المسلمين يواجهون تحدياً كبيراً في مجال الاقتصاد (إن حركة الأفكار مهما كانت وجهتها تدفع الفكر لتدعيمها أو تصحيحها أو حتى لمقاومتها، وأعتقد أن الفكر الإسلامي مدعو إلى خوض معركة كبرى لمواجهة تحدي عالم الاقتصاد). (ابن نبي 1987: 199).

مما سبق يلاحظ أن مالك بن نبي قد ركّز على الجوانب الدينية والأخلاقية والإنسانية التي تواجه العملية الاقتصادية واعتبر أنّ (مشكلة العالم الإسلامي الاقتصادية تكمن في تخلّفه الحضاري بشكل عام، فإنّ التخلف الاقتصادي شأنه مثل كافة الميادين الأخرى، وما أصابها من تحلل وغياب العقيدة المحركة للإرادة المحفزة بالإضافة إلى تحويل القيم الإسلامية التي صنعت ضمير الأمة المسلمة إلى واقع عملي حتى يتسم باندفاع أصحابه نحو الحضارة المنشودة، واستعادة كيانهم الحضاري (ابن نبي 1987: 211).

إن هذه الجوانب التربوية الواضحة في حياة مالك بن نبي إنما ترجع إلى معايشته لظروف المجتمعات المسلمة وغير المسلمة حيث أنه تنقّل في أكثر من بلد وتعرّف عن معايشة وتواصل على طرق تفكير الناس في البلاد التي عاش فيها.

الخاتمة.

خلاصة بأهم النتائج:

1- إن المورد البشري أهم ما يمتلكه أي مجتمع إنساني، والمحرك الأساسي لهذا المورد هو الفكر، فهو الذي يقود إلى تحفيز الأفراد للتنمية في كافة مجالاتها.

2- إن التربية الاجتماعية في المجتمع المسلم تستمد محتواها وأساليبها من أقوال وأفعال الرسول صلى الله عليه وسلم، فهو المربي الأول والقدوة في السلوك والمعاملات.

3- أولى مالك بن نبي قضية المرأة عناية خاصة، فقد شابها كثير من التشويش وسوء الفهم، ولابد من النظر إليها من خلال المنظومة الفكرية العامة ذات الصلة القوية بالحضارة.

4- لا تنفصل قضية المرأة عن الرجل، وهي عموماً مشكلة الفهم في المجتمع الذي وضع المرأة في مواجهة الرجل دون مراعاة خصوصية طبيعة كل منهما، علماً أن لكل منهما دور خاص يقوم به، وهذا الدور يستند إلى طبيعة كل من الرجل والمرأة، وهو موقف وسط بين المتمسكين بإبعاد المرأة والآخرين المتمسكين بتحرر المرأة.

5- الطريق الوحيد للحصول على الحقوق هو أداء الواجبات، مع ضرورة استشعار كل فرد في المجتمع لدوره وأنه مسؤول عن إحداث التغيير الداخلي في ذاته، وهو المدخل الصحيح للتغيير الإيجابي.

6- العقيدة الدينية الصحيحة هي المحرك الأول للعمل والإنتاج وتحقيق الرفاهية للمجتمع، وفي تأكيد على أن العمل عبادة مثله مثل غيره من العبادات والتكاليف الشرعية.

7- ضرورة اعتماد المجتمعات الإسلامية على نفسها بزيادة الإنتاج وتحقيق الوفرة وفق خطة واضحة المعالم تتفاعل فيها الفكرة الدينية بمتغيرات ثلاثة هي التراب والإنسان والزمن.

التوصيات والمقترحات.

1- تعريف طلاب العلم بسيرة مالك بن نبي عامة وما بثه من أقواله في كتب ومحاضرات ولقاءات.

2- عقد لقاءات علمية محلية وعالمية تحت رعاية جهات متخصصة لاستخراج الجوانب التربوية في حياة مالك بن نبي.

3- إجراء دراسات وبحوث تربوية مقارنة للجوانب التربوية في حياة مالك بت نبي.

4- إتاحة الفرصة للباحثين والدارسين للعلوم التربوية خاصة للاطلاع على مؤلفات مالك بن نبي.

المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

- القرآن الكريم.
- كتب الحديث:

- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني (د. ت) سنن ابن ماجة، دار الفكر، بيروت، لبنان
- البخاري، محمد بن إسماعيل (1989) صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، لبنان
- الترمذي، محمد بن عيسى (د.ت) سنن الترمذي، دار إحياء التراث، بيروت، لبنان
- القضاعي، محمد بن شهاب (1986) مسند الشهاب، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان
- النيسابوري، محمد بن عبد الله الحاكم (1990) المستدرك، دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان
- النيسابوري، مسلم بن الحجاج (د. ت) صحيح مسلم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان

ثانياً- الكتب والأبحاث العلمية والمراجع الإلكترونية:

- إبراهيم، التجاني محمد (2008) الفكر التربوي عند مالك بن نبي في ضوء التربية الإسلامية، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية- الحصاحيصا، جامعة الجزيرة، السودان
- ابن نبي، مالك (1987) إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دمشق، دار الفكر، القاهرة، مصر
- ابن نبي، مالك (1989) الظاهرة القرآنية، دار الفكر، دمشق، سوريا
- ابن نبي، مالك (1989) وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق، سوريا
- ابن نبي، مالك(1987) المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر المعاصر، القاهرة، مصر

- ابن نبي، مالك(1989) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، سوريا
- إمام، زكريا بشير(1991) دراسة نقدية في الفلسفة الإسلامية، دار الجيل، بيروت، لبنان
- بوغرة، محمد 02017) تأملات في قضية الحضارة www ahlalhadeeth.com
- حجي، بنلحمر (2017) عبقرية مالك بن نبي www. Islamstory.com
- حسن، إبراهيم (2017) مالك بن نبي مفكراً www. darfikr.com
- الخطيب، سليمان عبد الدائم (1988) فلسفة الحضارة عند مالك بن نبي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، مصر.
- خليل، عماد الدين (1989) حول تشكيل العقل المسلم، دار الفكر، بيروت، لبنان
- السحمراني، أسعد (1984) مالك بن نبي مفكراً إصلاحياً، دار النفائس، بيروت، لبنان
- شايب، لخضر(1988) الحضارة الإسلامية في فكر مالك بن نبي، دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإسلامية، جامعة باتنة، الجزائر.
- القريشي، على حسن(1988) الأسس التربوية للتغيير الاجتماعي عند مالك بن نبي، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر
- محمد، عبد القوي عبد الغني، (1994) الجوانب التربوية في حياة الخلفاء الراشدين، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس، مصر
- مكارم (1986) زينب أحمد، المصادر الدينية الفلسفية في فكر مالك بن نبي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر
- ميلاد، زكي (1986) مالك بن نبي ومشكلات الحضارة، بيروت، دار الفكر، بيروت، لبنان